الحاصل على منحة القدومي والقطان الدراسية للعام 2008 في حوار مع "رؤى تربوية"

فضل جبران: المعلم قادر على إحداث التغيير إذا تحرر من قيود المنهاج

توفر مؤسسة عبد المحسن القطان ومؤسسة هاني القدومي للمنح الدراسية منحاً لدراسة الماجستير في العلوم التربوية النوعية والمستحدثة والنادرة في العالم من خلال برنامج المنح المشترك «منحة القدومي والقطان الدراسية في مجال العلوم التربوية للعام » لمعلمين ومعلمات فلسطينيين في المدارس، وذلك للحصول على درجة الماجستير في موضوعات محددة في الخارج، ومن ثم العودة للعمل في مهنة التعليم وإمكانية المساهمة في أعمال تربوية وبحثية مع معلمين آخرين من خلال مركز القطان للبحث والتطوير التربوي في رام الله أو غزة.

ويتطلب الحصول على المنحة عدداً من المؤهلات والشروط التي يجب أن تتوافر في المتقدم كأن أن يكون التقدم لها معلماً/ معلمة ولم يمض عليه/ا 5-10 سنوات في سلك التعليم الأساسي، وأن لا يقل المعدل العام في الدرجة الجامعية الأولى – البكالوريوس عن 80%، ولديه معرفة جيدة جداً في اللغة الإنكليزية وإمكانية الحصول على العلامة المطلوبة لامتحان TOFEL أو متطلبات أخرى تتطلبها الجامعة ذات الشأن، إضافة إلى الحصول على قبول من إحدى الجامعات الواردة ضمن قائمة الجامعات التي تعتمدها المنحة والإيفاء بكل متطلبات الالتحاق فيها.

وتشترط المنحة كذلك الالتحاق بالدراسة مباشرة، والعودة إلى الوطن للعمل فيه لمدة لا تقل عن 3 سنوات، والحصول على رسالة من المدرسة التي يعمل بها تفيد بالتزامه/ا بعودته/ا إلى عمله، وتقديم خطة دراسية توضح الاختصاص المرغوب بدراسته والأسباب وكيفية توظيف ذلك في عمله/ا عند عودته/ا، والتوقيع على اتفاقية المنحة والالتزام بمتطلباتها وشروطها.

وقد فاز بالمنحة في دورتها لهذا العام المعلم فضل جبران الصوايفة، وهو أحد المشاركين الفاعلين في فعاليات مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، وقد التحق فعلاً بجامعة (Institute of Education – University of London) في لندن لاستكمال دراسته العليا في التربية المقارنة.

حول الماضي من أجل المستقبل

واستكمالاً لكل تجربة، ارتأت «رؤى تربوية» أن تجري مع المعلم فضل جبران حواراً يسلط الضوء على تجربته في التعليم، وتفاعله مع مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، وعلى مسار حصوله على القبول الجامعي وعلى المنحة وانطباعاته الأولية عن المستقبل.

ويأتي هذا الحوار، كصيغة تواصل بينه وبين المركز والمعلمين، وهو أيضاً إعادة استنطاق لتجربته في التعليم، وفي التشارك مع مركز القطان، وفي مغامرة السفر والدراسة. كما يأتي هذا الحوار من منطلق تسليط الضوء على شخص، وتجربة، وصيغة تفاعل مع مركز القطان، ولإضاءة موضوع المنحة، وكيفية الحصول عليها، لعل هذا الحوار يضيء التجربة لنا ويقدم فائدة للمعلمين. وفيما يلي نص الحوار:

«رؤى تربوية»: ونحن نبدأ معك هذا الحوار نتمنى لك كل التوفيق: أنت الآن انتقلت إلى بريطانيا لمتابعة دراستك الجامعية للحصول على الماجستير؟ حدثنا عن موضوع الدراسة؟ ولماذا اخترته؟

فضل جبران: في البداية أتقدم بجزيل الشكر لمركز القطان للبحث والتطوير التربوي عامة، وللزميل وسيم الكردي خاصة، الذي أتاح لي هذه الفرصة للحوار والكتابة في هذا المجال.

نعم، ها أنا الآن في بريطانيا وفي بداية مشواري للحصول على درجة الماجستير في مجال التربية المقارنة من كلية التربية/ جامعة لندن. حقيقة، لم يكن اختياري لبريطانيا ولهذا التخصص تحديداً صدفة، فمنذ أن أنهيت

درجة البكالوريوس من جامعة الخليل، وأنا احلم بالالتحاق بإحدى الجامعات البريطانية، لما لها من سمعة ليس في العالم العربي فحسب، بل أيضاً في جميع أنحاء العالم. بدأت في مراسلة الجامعات البريطانية المختلفة والتواصل مع رؤساء الأقسام في هذه الجامعات لفترة طويلة، وكنت أقضي ساعات طويلة في البحث عن التخصص الذي أريد، وعن المنح التي توفرها هذه الجامعات. وبعد سنة من المراسلات حصلت على القبول في مجال التربية المقارنة من جامعة لندن، التي تعد من أولى الجامعات الرائدة في تدريس التربية بشكل عام، والتربية المقارنة بشكل خاص. كان لا بد لي أن أبحث عن منحة لتغطية تكاليف الدراسة، وبخاصة أن الدراسة في المملكة المتحدة مكلفة جداً. جاء الوقت المناسب، وكنت قد قرأت إعلاناً في مجلة رؤى تربوية عن منحة للمعلمين الفلسطينيين الذين يريدون إكمال دراستهم في الخارج. قمت بالاستفسار عن هذه المنحة وكانت الشروط ملائمة، وحصلت على المنحة بعد أن كنت قد استوفيت جميع الشروط. وأنا الآن في جامعة لندن أعرق الجامعات البريطانية في تدريس التربية، وبخاصة درجتي الماجستير والدكتوراه، حيث تعد مكتبة كلية التربية في جامعة لندن من أكبر المكتبات في العالم؛ نظراً للكتب والمراجع والدوريات والأبحاث الموجودة بهذه المكتبة.

الإنسان رأسمال التربية المقارنة

أما بالنسبة لموضوع الدراسة، فلم أدرك مدى أهمية هذا المجال إلا بعدما التحقت في التعليم وأصبحت معلماً. في بداية مشواري كمعلم كنت متحمساً جداً لبذل قصارى جهدي من أجل الخروج بنتائج مرضية، وبناء جيل قادر على الحوار والمناقشة والنقد، إلا أنني تفاجأت بالمناهج التي تكاد تكون بلا جدوى؛ لخلوها من الموضوعات والبرامج التي تساعد على بناء شخصيات ناقدة ومحاورة. فتكاد تكون هذه المناهج تكرار سنة تلو أخرى، لذا كان لا بد لي بالتفكير بدراسة هذا التخصص والعودة إلى فلسطين بأفكار جديدة تساعد على تغيير هذه المناهج التي تكاد تكون بالية. وبالعودة إلى مجال التربية المقارنة، فالإنسان هو رأسمال التربية المقارنة، لأنه هو الذي يصنع القرار والتربية المقارنة تعمل على ذلك. فالتربية المقارنة هي العلم الذي يبحث في فهم العلاقة بين التربية (من حيث بنيتها ومكوناتها وتطورها)، والمجتمع، والإنسان هو أساس المجتمع. وتبحث التربية المقارنة في التعليم والمناهج التعليمية وتأثير العولمة عليها، وكل ذلك من خلال دراسات ومقارنات بين كثير من الدول في آسيا وأفريقيا وأوروبا.

مدينة لا تنام

كيف وجدت الدراسة في لندن؟ وما هي انطباعاتك الأولية؟

الدراسة في لندن مفيدة جداً، وتحتاج إلى جهد ومثابرة ومشاركة، ويتم ذلك من خلال التحضير والقراءة المسبقة. لندن مدينة جميلة ومناخها الدراسي رائع جداً، ومن السهل الانخراط في المجتمع، لأن لندن مدينة تعددية وفيها الكثير من الجنسيات والثقافات واللغات، وهذه ميزة أخرى لهذه المدينة الرائعة. لندن أيضاً مدينة تاريخية وفيها الكثير من المعالم الفريدة كمتحف لندن، وبرج لندن، والجامعات العريقة كجامعة لندن، وجامعة أكسفورد. صراحة، لم أكن أتوقع أن تكون لندن والناس هنا على ما هم عليه الآن، فلندن المدينة التي لا تنام، والشعب ودود وطيب. حقيقة لم أجد أي صعوبة في التعامل مع اللندنيين أو غيرهم. ولقد كونت الكثير من العلاقات والصداقات مع الطلاب الذين هم في مجال دراستي نفسه، وطلاب من تخصصات أخرى في الجامعة، وبخاصة أنه يوجد في الجامعة طلاب من أكثر من 100 دولة حول العالم.

كيف تبادرت لديك فكرة إكمال دراستك الجامعية؟

كما ذكرت آنفاً، تولدت لدي فكرة إكمال دراستي الجامعية بعد أن تخرجت من الجامعة وازداد تصميمي على ذلك عندما عملت معلماً ورأيت الحالة المأساوية التي آلت إليها مدارسنا بفعل الكثير من العوامل التي تكاد تكون واضحة حتى للذين لم يرتادوا المدارس على الإطلاق.

التربية المقارنة مجال جديد على ثقافتنا

حدثنا بتفصيل حول البرنامج الدراسي الذي التحقت به؟

التربية المقارنة كمجال دراسة تكاد تكون جديدة علينا كفلسطينيين أو كعرب بشكل عام، وذلك لأن هذا العلم تعود بداياته إلى منتصف القرن التاسع عشر، ويعد كل من كارل ماركس، وايميلي دوركهايم، وماكس فيبر، المؤسسين لهذا العلم. والتربية المقارنة كعلم، هي العلم الذي يدرس الموضوعات والمناهج والطرائق التعليمية والمشاكل التي تواجه النظم التعليمية من وجهة نظر فلسفية وأيديولوجية في نطاق الدولة الواحدة، أو دول مختلفة تواجه المشاكل التعليمية نفسها، مع الأخذ بعين الاعتبار الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية لهذه الدولة أو هذه الدول. ويتطلب الحصول على درجة الماجستير في التربية المقارنة إجادة اللغة الإنجليزية وبطلاقة كأساس للالتحاق بهذا المجال. ومدة الدراسة هي سنة واحدة على ثلاثة فصول بمعدل 180 ساعة معتمدة موزعة كالآتي: ثلاثة متطلبات إجبارية بمعدل 90 ساعة بواقع 30 ساعة لكل متطلب، ومادة اختيارية بمعدل 30 ساعة، والرسالة النهائية بمعدل 60 ساعة معتمدة.

وجهة نظر شخصية في التعليم

حدثنا عن تجربتك في التعليم في فلسطين، أهم ملامحها، أبرز مشكلاتها . . . نظرتك إلى مهنة التعليم من وجهة نظر شخصية؟

بالنسبة لمسيرتي كمعلم في فلسطين، التحقت للعمل مساعد بحث وتدريس في الجامعة العربية الأمريكية في جنين لمدة عامين بعد أن تخرجت من الجامعة بفترة وجيزة، وكان ذلك بين العامين 2001-2003. ولقد استفدت من هذه التجربة كثيراً من خلال عملي مع أساتذة جامعيين من بريطانيا، وكندا، والولايات المتحدة. كان لا بد لي أن التحق بمجال التعليم في المدارس بعد أن انتهت فترة عملي في الجامعة. وعندما تم تعييني في التربية، عينت في مدرسة نائية يكاد يكون الوصول إليها شبه مستحيل لصعوبة المواصلات إلى تلك المنطقة. لم أهتم إلى ذلك كثيراً لشدة حبي لهذه المهنة، ولما فيها من متعة. عملت كل ما بوسعي من أجل إفادة طلاب تلك المدرسة المنعزلة عن العالم، وانتقلت بعد ذلك للعمل في المدرسة الثانوية في بلدتي. الاختلاف الوحيد بين المدرستين كان من الناحية الجغرافية، أما المشاكل فهي نفسها. إدارات يائسة، ومعلمون محبطون ومتواكلون. لم أتفق مع أي من الذين حاورتهم بأن الطالب هو المشكلة، بل نحن المشكلة من معلمين وإداريين وواضعي مناهج، وتربية وتعليم. التعليم مهنة عظيمة ومسؤولية كبيرة، ولقد تأكد لي ذلك هنا في بريطانيا نظراً لما للمعلم من احترام ومكانة في المجتمع، وذلك لأن المعلم هو الذي يصنع الأجيال وصانعي القرار في هذا البلد. تطوعت للتدريس في إحدى المدارس القريبة هنا في وسط لندن، وشعرت كيف أن تكون معلماً في بلد أوروبي بغض النظر عن الديانة أو الجنس أو اللون أو العرق. فهم يحترمون المعلم لكفاءته وقدرته على الإتيان بكل ما هو جديد وفعال. لذا، لا بد للمعلم أن يطور من نفسه ويعامل طلابه باحترام ومساواة ويتخلى عن استخدام العنف معهم جسدياً كان أم لفظياً.

المعلم قادر على إحداث التغيير

ما هي نظرتك إلى دورك كمعلم خلال سنوات عملك في هذه المهنة؟

عندما كنت معلماً قبل أن ألتحق للدراسة في جامعة لندن، كنت شديد الحرص وعلى مدار السنوات الخمس التي عملت بها، على أن يكون دوري فعالاً في كل ما يأتي بالفائدة والنفع على طلابي. لم أتقيد بكل ما وضع في المنهاج، لأنني كنت وما زلت أعتقد أن المعلم قادر على التغيير إن أراد ذلك. لم أهتم للكمية بل للكيفية التي يجب أن أتناول بها الموضوعات. منذ متى كانت الكمية هي التي تحدد مدى استيعاب الطالب وفهمه للأمور. اتبعت هذا الأسلوب منذ البداية، وكان ذلك واضحاً وجلياً وجاءت النتائج كما توقعتها.

تجربتي مع مركز القطان

حدثنا عن تجاربك مع مركز القطان للبحث والتطوير التربوي؛ البرامج؟ ما هي الأسئلة الجديدة؟ التوجهات؟ التجارب؟

كان لالتحاقي بمنتدى معلمي إذنا الذي هو إحدى مبادرات مركز القطان دور كبير في صقل شخصيتي، وذلك من خلال الندوات والورش التي قمت بتنظيمها جنبا إلى جنب مع زملائي في إدارة المنتدى، وأخص بالذكر الزميل مشهور البطران، الذي شجعني فيما بعد بالالتحاق والمشاركة في ورش العمل والدورات التي يعقدها مركز القطان في رام الله.

شعرت بمدى أهمية الدورات التي يعقدها المركز للمعلمين منذ مشاركتي في أول دورة معه حول منهاج اللغة الإنجليزية للصف السابع. كانت دورة نوعية بكل المقاييس من حيث الإعداد لها، واختيار أناس على معرفة ودراية بكيفية التعامل مع المنهاج. كنت حريصاً بعد هذه الدورة على المشاركة في جميع الدورات التي عقدها المركز في بيت لحم، ورام الله، والخليل، وأريحا، حيث شاركت في دورة «الدراما في التعليم» في بيت لحم، التي كانت على مدى ثلاثة أيام، واستفدت منها كثيراً، كما شاركت في دورة «مسرح المضطهدين» في رام الله لمدة أسبوع وكانت رائعة للغاية. وقمت بتطبيق ما تعلمته في هذه الدورات مع الطلاب في المرحلتين الأساسية والثانوية ومؤسسات المجتمع المحلي كالأندية، والمخيمات الصيفية، وفاقت النتائج توقعاتي، لأن الطلاب والمشاركين وجدوا في هذه التجارب الجديدة متنفساً وفضاءً عبروا فيه عن أنفسهم، وأبرزوا مواهبهم وطاقاتهم. كما شجعني كل ذلك على الكتابة في مجلة «رؤى تربوية»، التي يصدرها مركز القطان، ووجدت فيها متنفساً للتعبير عن كل ما يجول بخاطري من انتقادات لمدارسنا من معلمين وإدارة، وواضعي مناهج. وكان لمشاركتي في المدرسة الصيفية التي نظمها مركز القطان في عجلون العام 2007 دور كبير في تطوير مهنتي كمعلم قادر على التغيير. وكانت المدرسة حول «توظيف الدراما في سياق تعليمي»، وتعرفت على معلمين من دول عربية مختلفة، وعلى أساتذة على درجة عالية من الكفاءة في هذا المجال. كما كانت فكرة تأسيس «منتدى الدراما» بعد العودة من المدرسة الصيفية الأولى فكرة ناجحة بكل المقاييس. تطوعت مع اثنين من زملائي على التنسيق لنشاطات المنتدى، وكنا حريصين على الالتقاء مرة في الشهر من أجل عرض تجاربنا والاستفادة منها. بعد ذلك عقدت المدرسة الصيفية الثانية العام 2008، وكانت ممتازة بكل ما تحمل الكلمة من معنى، حيث ازدادت معرفتنا في مجال

توظيف الدراما في التعليم، وتعرفنا على معلمين جدد من دول عربية مختلفة. كانت آخر مشاركاتي في مجال توظيف الدراما في التعليم هنا في بريطانيا، وذلك في مؤتمر (NATD) الذي جاء على مدى ثلاثة أيام، وعقد في جامعة أكسفورد. من هنا أتوجه إلى كل القائمين على مركز القطان بعقد الكثير من الدورات التي هي مختلفة كلياً عن الدورات التي تعقدها مديريات التربية والتعليم في فلسطين، والتي تكاد تكون دون جدوى. إن معلمينا بأمس الحاجة إلى تلك الدورات والمدارس الصيفية عظيمة الفائدة. وأتساءل هنا عن التطلعات والخطط المستقبلية لمركز القطان للعمل مع المعلمين في فلسطين والدول العربية المختلفة، وبخاصة في مجال توظيف الدراما في التعليم. كما وأتساءل عن إمكانية المركز في توفير مركز أبحاث يعنى بدراسة تجارب الدول التي شهدت تطوراً هائلا في مجال التعليم، كبعض الدول الآسيوية مثل الصين، وماليزيا، والهند، وإجراء المقارنات التي تعود بالفائدة على النظام التعليمي في فلسطين، والتي تعمل على تطوير مهارات المعلمين.

محاور تقود لتعليم أفضل

ما هي المحاور الأساسية التي ينبغي على كل معلم أن يركز عليها ليغدو تعليمه أفضل، وذا معنى أكبر؟

التعليم مهنة عظيمة، وهي الأساس في بناء المجتمعات، فإذا صلح النظام التعليمي والجسم التعليمي ستكون الفوائد كبيرة، وإذا اختل شرط من هذه الشروط فسد المجتمع. وبما أن الإنسان هو أساس ورأسمال التربية المقارنة، فلا بد أن يكون هذا الإنسان مستعداً وقادراً على إحداث التغيير. والمعلم إنسان، ويجب أن يعمل هذا المعلم على تطوير نفسه أولاً قبل أن يبدأ بالتغيير، ويأتي ذلك عن طريق المشاركة في الدورات والحوارات والندوات والمبادرة في التطوع، وعدم إلقاء اللوم على الطالب في حالات الفشل. بعد ذلك، وبعد أن يطور المعلم نفسه، يمكنه أن يحدث التغيير في طلبته وفي المناهج التي يجب أن يتم تعديلها. فالمعلم المتحرر المتنور هو القادر على النهوض بالعملية التعليمية، لا المعلم الخامل المتثاقل. ويجب أن يكون المعلم قدوة لطلابه ولزملائه، ويتحين جميع الفرص التي يمكن أن تسهم في إحداث التغيير من شخصيته وأسلوبه ووجهة نظره في الأشياء من حوله. لذا، أحث جميع المعلمين الذين يريدون النهوض بأنفسهم وطلابهم المشاركة في الدورات التي يعقدها مركز القطان للبحث والتطوير التربوي.

ما هي مخططاتك حين تكمل دراستك؟

كشرط من شروط المنحة التي حصلت عليها، يجب أن أعود للعمل في التعليم لمدة ثلاث سنوات، وكذلك العمل مع المركز جزئياً من خلال كتابة بحث تطبيقي أو الإشراف على نشاطات مع المعلمين في مجال التربية المقارنة. لن تقف طموحي عند هذا الحد، وأرغب في إكمال دراستي في مجال التربية المقارنة والحصول على درجة الدكتوراه.

في النهاية، لا بد أن أتوجه بالشكر لجميع من ساهم في مساعدتي على الحصول على هذه المنحة من حيث النصائح والإرشادات ومنحي الثقة، وأخص بالذكر الزملاء: وسيم الكردي، مدير مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، ومنال عيسى المديرة الإدارية لمؤسسة عبد المحسن القطان، ومالك الريماوي، وهدى حسونة، وسمر حجاوي، وكفاح فني، وخالد فني، وجميع العاملين في مركز القطان للبحث والتطوير التربوي.